(١)

الصدق وأثره في
صلاح الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، القائل : (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعـــد :

فإن من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف ورغَّبَ فيها ، وحثَّ على التخلق بها خُلق الصدق ، فالصدق عمود الدين ، وأصل الأدب ، وعنوان المروءة ، وواحد من أهم موازين الاستقامة والاعتدال في حياة الأفراد والمجتمعات ، حتى عرَّف بعض العلماء الإيمان الحقيقي بالصدق واعتبروه من أهم علامات الإيمان والثقة في الله (عز وجل) ، فقالوا: الإيمان هو أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق قد يضرك ، وألا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعك ، ليقينك أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . وقالوا –أيضًا– : تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وإِنْ رَأَيْتُمْ أنَّ فِيهِ الهَلَكَةَ ، فإِنَّ فيهِ النَّجاةَ، واجْتَنِبُوا الكَذِبَ وإِنْ رَأَيْتُمْ أنَّ فِيهِ النَّجاةَ ، فإنَّ فِيهِ الهَلَكَة .

والمتدبر لكتاب الله (عز وجل) يرى أن القرآن الكريم قد جعل الصدق والإيمان متلازمين ، فلا يتحقق إيمان العبد إلا بالصدق ، فالإيمان أساسه الصّدق ، والنّفاق أساسه الكذب ، حيث يقول الحق سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ

الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، وعَنْ صَفْوَانِ بْنِ سُلَيْمٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ : نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: لَا) .

وليس هناك أدل على شرف الصدق ، وفضله ، ومكانته من أن يصف الله (عز وجل) نفسه به ، حيث يقول سبحانه :{قُلْ صَدَقَ اللَّهُ}، ويقول جل شأنه: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}، ويقول تعالى : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}.

والصدق هو صفة الأنبياء والمرسلين ، فقد وصف الله تعالى به خليله إبراهيم (عليه السلام}فقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}، وقال سبحانه في شأن نبيه إسماعيل (عليه السلام) : {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} وفي شأن نبيه إدريس (عليه السلام) قال سبحانه: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}، وقال (عز وجل) في وصف يحيا (عليه السلام) : {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}، وفي معرض التزكية لسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول سبحانه مادحًا صدقه (صلى الله عليه وسلم) : {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.

ولقد أمر الله (عز وجل) عباده المؤمنين بالصدق ، فقال سبحانه: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وأخبر جل شأنه أن أهل الصدق من عباده في صحبة المُنعم عليهم من النّبيّين والشّهداء والصّالحين، فقال سبحانه: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}، فهم أهل المكانة الأسمى ، والرّفيق الأعلى ، وَحَسُن أولئك رفيقًا .

إن المسلم الحقيقي هو من يدرك أن الكلمة أمانة فيتحرى الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله ، ويتخذ من حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) أسوة وقدوة له ، فقد عاش النبي (صلى الله عليه وسلم) حياته قبل البعثة وبعدها أنموذجًا للإنسان الكامل الذي يريده الله (عز وجل) ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يُلقب بين قومه بالصادق الأمين ، حتى إنه (صلى الله عليه وسلم) اتخذ من الصدق مدخلًا ليكون بداية لإعلان رسالته للناس ، فعندما نزل قول الله تعالى :{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} صَعِدَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ ، حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: (أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟) قَالُوا: نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا ، قَالَ: (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) .

ولقد رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في الصدق بمرغبات عديدة تعملُ على تربية النفوس وتقويمها ، وإصلاح أمرها في الدنيا والآخرة ، حيث أخبر (صلى الله عليه وسلم) أن الصدق يجلب البركة وراحة البال في الدنيا ، فعن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا يَضُرُّكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، صِدْقُ حَدِيثٍ وَحِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَحسن خَلِيقَة ، وعفة طعمة) .

كما أخبر (صلى الله عليه وسلم) أن الصدق طريق لدخول الجنة ، فعن عبد الله بن

عمرو (رضي الله عنهما) أن رجلا جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله ما عملُ الجنة ؟ ، قال : (الصِّدْق ، وإذَا صَدَق العَبدُ برَّ ، وإذا برَّ آمَنَ ، وإذا آمَنَ دخل الجنة) ، وعن عبادة بن الصّامت (رضي الله عنه) أنّ النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ : اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ).

وكما رغب النبي (صلى الله عليه وسلم) في الصدق ، وبيّن لنا فضائله ، حذّر من الكذب ووضح لنا خطورته ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا ائْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) ، فقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الكذب علامة من علامات النفاق وأمارة من أماراته، فحريٌ بالمسلم الحقيقي أن يضبط لسانه ، وأن يتحرى الصدق فيما يقول وفيما يكتب ، لأن الكلمة أمانة ومسئولية عظيمة ، سواء أكانت مقروءة ، أم مسموعة ، أم مرئية ، فلا ينبغي للعاقل أن يردد كل ما يسمع دون تثبت أو علم ، فليس كل ما يُقال يُصدق ، وليس كل ما يُسمع يُقال ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}، ويقول سبحانه:{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، ويقول تعالى :{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا

أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) .

ولما كانت الكلمة أمانة ، ولها تأثيرها في حياة الأفراد والمجتمعات جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الكلمة الطيبة دليلًا على إيمان صاحبها حيث قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) ، وفي حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) بعد أن بين له النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فرائضَ الإسلام، وأبوابَ الخير ، قال له: (وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ) ، قَالَ معاذ : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ ، وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ ، وَأَمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ) ، فقَالَ: مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (فَأَهْوَى بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ) ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَنُؤَاخَذُ بِمَا نَقُولُ بِأَلْسِنَتِنَا؟ قَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام:

إن للصدق أثارًا طيبة ، وثمرات يانعة ، يجنيها من لازمه وتخلق به ، وحرص عليه ، أهمها توفيق الله (عز وجل) وتأييده لأهل الصدق ، فهذا سيدنا عمير بن سعد بن الأنصاري رضي الله عنه) يحمله حبه للنبي (صلى الله عليه وسلم) وغيرته على الإسلام أن يذهب للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأخبره بما كان من زوج

والدته الجُلاس بن سويد عندما ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) بسوء ، فبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الجلاسِ فحلف الجلاسُ أنه ما قال ، وكذَّب عُميرًا ، فأنزل الله (عز وجل) الوحي على نبيه (صلى الله عليه وسلم) بقوله تعالى :{يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ}، فاعترف الجلاس وقال : بل أتوب يا رسول الله ، بل أتوب ، فأقبل النبي (صلى الله عليه وسلم) على عمير ، ومد يده الشريفة إلى أذنه ، ثم قال : وفَّت أُذُنكَ ماسَمِعَت ، وصدّقكَ ربُك.

والإنسان الصادق سليم النفس ، نقي الفطرة ، قريب من الناس ، يألف ويؤلف ، لا يغش في تجارةٍ ، ولا يُخادع في معاملةٍ ، يأتمنه الناس ويثقون به ، فالصدق يورث صاحبه الأمان النفسي ، والرضا القلبي ، والسعادة المجتمعية ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ) ، وقال عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) : من كانت له عند النّاس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث ، من إذا حدّثهم صَدَقهم ، وإذا ائتمنوه لم يخنهم ، وإذا وعدهم وفّى لهم ، وجب له عليهم أن تحبّه قلوبهم ، وتنطق بالثّناء عليه ألسنتهم ، وتظهر له معونتهم .

وقيل للقمان الحكيم : ألست عبد بني فلان ؟ قال : بلى . فقيل له : فما بلغ بك ما نرى ؟ قال : تقوى الله (عزّ وجلّ) ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة .

كما أن الصدق سبب في انتشار المحبّة بين أبناء المجتمع الواحد ، مما يؤدي إلى تماسكه وترابطه ، فبالصدق تحفظ الدماء والأموال وتصان الأعراض وتستقر الحياة ، ولنا أن نتخيل مجتمعًا قد حُرم من تلك القيمة النبيلة والخلق الفضيل كيف

لأفراده أن يجدوا الاستقرار النفسي والأمان المجتمعي ؟ وكيف له أن يتقدم ، أو يبلغ درجات من الرقي والتحضر ؟.

إن المجتمع الذي يخلو من ذلك الخلق النبيل يهوي إلى درك عظيم من الانحطاط الأخلاقي والسلوكي وذلك لرسوخ مبدأ الخيانة بين أفراده ؛ لأن الأمان والطمأنينة لا يقوما إلا على أساس صدق الكلمة .

على أننا نؤكد أن الصدق أنــواع : فالصدق في الأقوال يكون بحفظ اللسان عما حرم الله تعالى قوله ؛ من الكذب والنطق بالزور ، وشهادته ، وعن كل ما يخالف الحقيقة ، والصدق في الأفعال يكون بامتثال الأمر واجتناب النهي ، وتحرى الحلال والحرام ظاهرًا وباطنًا ، والصدق في الأحوال يكون بإخلاص القلب والجوارح وصدق النية في القول والفعل لله (عزّ وجلّ) .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت
واصرف عنا سيئها لا يصرفُ عنا سيئها إلا أنت
وارزقنا اللهم الصدق في القول والعمل ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصّالحين